مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

خاتوشا عاصمة الحثيين ومهد الحضارة الأناضولية
دراسة في التطور الحضاري

م.م. نائلة عمر شهاب الأحمد(*)

مقدمة

تُعد خاتوشا واحدة من أبرز المدن القديمة في الشرق الأدنى القديم، إذ لعبت دورًا بارزًا ليس فقط داخل حدود مملكة الحثيين، وإنما في نطاق العلاقات الثقافية والسياسية بين حضارات عصر البرونز المتأخر، تقع آثار هذهِ المدينة الأثرية بالقرب من قرية بوغازكالي في وسط الأناضول على بعد حوالي ١٥٠ كيلومترا شرق العاصمة التركية أنقرة، ضمن منطقة جبلية وعرة تم استغلالها تاريخيًا لأغراض دفاعية واستراتيجية، ويظهر السجل الأثري أن موقع خاتوشا كان مأهولًا منذ الألف الثالث قبل الميلاد، إذ نشأت أولى المستوطنات على التلال المحيطة قبل أن تختارها السلالات الحثية لاحقًا لتكون عاصمة الإمبراطورية الحثية في الألفية الثانية قبل الميلاد خاصة خلال ذروة ازدهار الإمبراطورية بين حوالي ١٣٥٠ و١٢٠٠ قبل الميلاد.

وقد كشفت الحفريات الأثرية عن مخطط عمراني متقدم يشمل بوابات ضخمة مثل بوابة الأسود والبوابة الملكية، وأسوارا دفاعية منيعة إضافة إلى معابد وقصور ملكية تدل على تطور التخطيط الحضري والهندسة المعمارية في المدينة، كما أن الاكتشافات المسمارية في الموقع وفك رموزها قد أوفت بفهم أكبر عن الحياة السياسية والدينية والاقتصادية للحثيين، وتؤكد على أهمية خاتوشا كمركز ثقافي ودبلوماسي في عصرها، كما يتضح من النصوص القانونية والدبلوماسية التي تم العثور عليها ضمن الأرشيفات المكتشفة. وينقسم هذا البحث إلى عدة فقرات لتقديم صورة واضحة ومتكاملة عن المدينة، كالتالي: ١. نبذة تاريخية عن الحثيين وأصولهم ٢. الموقع الجغرافي لمدينة خاتوشا والتخطيط والخصائص الطبيعية التي امتازت بها ٣. التنقيبات الأثرية ٤. التطور السياسي للمدينة وعلاقاتها الإقليمية ٥. المنجزات الحضارية في خاتوشا: الأسوار، البوابات، والمعابد.

صعوبة هذا البحث تكمن في محدودية بعض المصادر الأولية حيث أن معظم المعلومات المتوفرة عن خاتوشا تأتي من التنقيبات الأثرية والرسائل

(*) جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي.
naila.omar1206a@coart.uobaghdad.edu.iq

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

المسمارية التي قد تكون ناقصة أو متفرقة، ما استلزم جهدًا مضاعفًا في جمع وتفسير البيانات للوصول إلى صورة واضحة عن المدينة وعظمتها الحضارية والسياسية، ورغم هذهِ التحديات فإن الدراسة تقدم مادة شاملة وموثوقة تسهم في فهم دور خاتوشا في تاريخ الأناضول خلال الألف الثاني قبل الميلاد.

الكلمات المفتاحية: خاتوشا، الختيون، الأناضول، الإمبراطورية الحثية.

تمهيد

الجذور التاريخية للحثيين

يتفق الباحثون على أن الحثيين ينتمون إلى الأقوام الهندوأوروبية[١]، التي نزحت من مواطنها الأصلية في سهول جنوب روسيا في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، متجهة إما عبر الشمال الشرقي مرورا بممرات القفقاس[٢]، أو عبر الشمال الغربي مرورا بمضيق البوسفور الرابط بين البحر الأسود وبحر مرمرة الداخلي، لتدخل الأناضول مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد[٣]، وقد حدث هذا الدخول على مراحل متتابعة وليس دفعةً واحدة[٤]، وقسم العلماء هذهِ الأقوام إلى ثلاث مجموعات رئيسة اللوفيين أو اللوفيان الباليين، والنيسيتين أو النيزيين، الذين تمكنوا بعد استقرارهم في قلب الأناضول من السيطرة على المركز السياسي للمنطقة، ومن ثم على كامل البلاد لتقوم أول دولة موحدة في تاريخ الأناضول حوالي عام ١٦٧٠ ق.م والمعروفة بالدولة الحتية[٥].

أما تسمية الحثيين فهي مرتبطة بهجرتهم إلى الأناضول إذ اختلط النيسيتون أو النيزيون مع شعب يُعرف باسم شعب خاتتي في وسط الأناضول فأخذوا هذهِ التسمية عن المنطقة المعروفة ببلاد خاتتي[٦]، ومع سيطرة النيزيين على كامل الأناضول شملت تسمية الحثيين كل البلاد التسمية الأصلية للبلاد[٧]، كما وردت في النصوص المسمارية الحثية ومصادر الشرق الأدنى القديم هي بلاد خاتتي (Hatti)، ويمكن قراءتها ختيين أو ختيون، أما مصطلح (الحثيين) فهو تسمية توراتية شاع استخدامها في الكتب والبحوث الحديثة[٨]، وتجدر الإشارة إلى أن المعلومات المتوفرة عن الحثيين قبل التنقيبات الأثرية كانت محدودة جدًا اقتصرت على ما ورد في التوراة وبعض المصادر الكلاسيكية.

تعد بلاد الأناضول المعروفة أيضًا باسم آسيا الصغرى إحدى المناطق المحورية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، إذ شهدت قيام مستوطنات بشرية منذ العصور الحجرية[٩]، ومع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد أصبحت الأناضول مركزًا لظهور حضارات كبرى وفي مقدمتها الحضارة الختية الأمر الذي يعكس مكانتها التاريخية والثقافية البارزة، وقد أسهمت الحضارة الختية بدور فاعل في تشكيل الهوية الثقافية والنظام السياسي في الأناضول، وتميزت بتقدمها الفكري والفني فضلا عن تأثيرها الواضح في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة مما يؤكد الأهمية التاريخية والثقافية للأناضول[١٠].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

المبحث الأول

الإطار الجغرافي لمدينة خاتوشا

أولًا: الموقع الجغرافي

تقع مدينة خاتوشا، عاصمة الإمبراطورية الحثية، في وسط بلاد الأناضول بالقرب من القرية الحالية بوغازكالي (Boğazkale)[١١]، التي كانت تُعرف سابقًا باسم بوغازكوي (Boğazköy) وعلى مسافةٍ تقارب (١٥٠) كيلومترًا شرق مدينة أنقرة[١٢]، وتُشير الدلائل الأثرية إلى أن خاتوشا كانت مأهولةً بالسكان منذ الألف الثالث قبل الميلاد، إذ أُقيمت في منطقة جبلية تتخللها مرتفعات عدة، من أبرزها مرتفعا بويوك قلعه وبويوك كايا، وتعود أقدم شواهد الاستيطان في الموقع إلى العصر الحجري النحاسي، واستمر هذا الاستيطان خلال عصر البرونز القديم في الألف الثالث قبل الميلاد، بينما تحول الموقع في عصر البرونز الوسيط إلى مستوطنةٍ تجارية آشورية (كاروم)[١٣].

ثانيًا: الخصائص الطبيعية

أما نشأة خاتوشا بوصفها عاصمة للدولة الحثية فتعود إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد، في أواخر عصر البرونز الوسيط ويتسم موقع المدينة بخصائص طبوغرافية مميزة[١٤]، إذ يحدها من الشرق ممر ضيق ينحدر بشكلٍ حاد نحو منطقة مرتفعة في الجنوب، حيث كشفت التنقيبات الأثرية عن منشآت حثية توحي بحجمها وضخامة بنائها بعظمة المملكة الحثية في تلك المرحلة[١٥]، وقد شُيدت خاتوشا وفق مخطط بيضاوي الشكل يبلغ طوله نحو (٢) كم، وجاء بناؤها محكمًا ليتلاءم مع الطبيعة الجبلية الوعرة والأنهار المحيطة بها لتغدو نموذجًا بارزًا لفن العِمارة الختية الذي تميز بالفخامة والمتانة، فضلًا عن استخدام الأعمدة والنوافذ والأبواب والألواح الحجرية المتنوعة[١٦].

وقد أسست المدينة في صورتها العمرانية الأولى على يد الحاكم الحثي حاتوشيلي الأول[١٧]، ثم شهدت توسعًا وتعزيزًا في عهد الملك شوبيلوليوما الأول[١٨]، خلال أوج قوة الإمبراطورية الحثية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١٩].

ثالثًا: التنقيبات الأثرية

بقيت بلاد الحثيين مجهولة إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى أن لفت الباحث الإيرلندي ويليام رايت الأنظار إليها عام ١٨٨٤، بعد عثوره على كتابات تعود إلى هذهِ الحضارة، ثم تواصل الاهتمام العلمي بالمنطقة من خلال أعمال البعثة الألمانية[٢٠]، التي قادها العالم اللغوي والآثاري هوغو وينكلر إذ أسفرت أعمالها في نهاية القرن نفسه عن اكتشاف أولى الرقم المسمارية باللغة الختية[٢١]، ومع مطلع القرن العشرين بدأ التنقيب الأثري المنهجي في موقع حاتوشا وتحديدًا منذ عام ١٩٠٦ على يد الجمعية الشرقية الألمانية[٢٢]، وقد تصدرت حاتوشا بقية المواقع الختية من حيث غزارة النصوص المكتشفة، إذ عُثر فيها على ما يُقارب نصف الرسائل الختية المعروفة نتيجة

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

حملات تنقيبية متتابعة امتدت على مدى القرن العشرين[٢٣]، وتُشير نتائج تنقيبات ثلاثينيات القرن الماضي إلى أن الغالبية العظمى من هذهِ الرسائل تعود إلى طبقة أثرية واحدة تمثل المرحلة الأخيرة السابقة لسقوط الدولة الختية وتدمير عاصمتها، وتركزت مراكز البحث الرئيسة في ثلاثة مواقع داخل المدينة، يأتي في مقدمتها القلعة الملكية بويوكاله، التي ضمت عددًا من الأبنية الإدارية، كما عثر على نصوص أخرى في مبانٍ تقع جنوب غربي المعبد الأول إضافة إلى مبنى إداري عُرف بـ(المنزل على المنحدر)، فضلًا عن شظايا نصوص وجدت في مناطق متفرقة من الأكروبوليس، وكشفت تنقيبات منتصف القرن العشرين عن مئات الأجزاء من رسائل محطمة عمدًا، ولاسيما في فناء القلعة الأوسط مما يُشير إلى أحداث عنف رافقت المراحل الأخيرة من عمر المدينة، وقد أسهمت وفرة المادة الأثرية والنصية المكتشفة في حاتوشا إلى جانب ما ورد من نصوص معاصرة في دول الجوار إسهامًا كبيرًا في فهم البُنية الدينية والإدارية للدولة الختية[٢٤].

المبحث الثاني

التطور التاريخي لمدينة خاتوشا

أولًا: نشأة مدينة خاتوشا وصعودها السياسي عاصمة للدولة الحثية

بعد استقرار الختيين في الأناضول وبسط سيطرتهم على شعب بلاد خاتي، اتجهوا إلى تنظيم وجودهم السياسي ضمن كيانات متفرقة يمكن عدها دويلات مستقلة وهو تنظيم يرجح أنهم استلهموه من النظام السياسي السائد في الأناضول قبل وصولهم والذي كان يقوم على استقلال الوحدات السياسية عن بعضها بعضًا، وتُشير المُعطيات التاريخية إلى أن الختيين عقب ترسيخ نفوذهم في المنطقة حافظوا على هذا النمط من التنظيم الأمر الذي أسفر عن نشوب صراعاتٍ متكررة بين تلك الدويلات خلال مراحل مبكرة من تاريخهم السياسي، واستمر هذا الواقع حتى النصف الأول من القرن السابع عشر قبل الميلاد حين أنجز توحيد تلك الكيانات ضمن كيان سياسي مركزي عُرف بالمملكة الختية ويعد الملك أنيتا ملك كوشارا من أوائل من حاولوا تجاوز حالة التشتت السياسي، إذ قاد في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد محاولة مبكرة لتوحيد الدويلات الختية متخذًا من مدينة نيسا قاعدة لانطلاق مشروعه السياسي[٢٥].

وفي إطار هذهِ التحولات السياسية برزت مدينة خاتوشا بوصفها إحدى أهم المراكز الحضرية في بلاد الختيين، إذ شكلت المدينة الرئيسة للختيين ومركزًا سياسيًا وتجاريًا مهمًا منذ بدايات الألف الثاني قبل الميلاد وربما يعود تاريخها إلى فترة أسبق من ذلك، وفي منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد أخضعها الملك أنيتا خلال حملاته العسكرية فأقدم على تدميرها وأعلنها مدينة محرمة، في مسعى واضح للحيلولة دون إعادة إعمارها أو اتخاذها

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

مقـرًا للحكـم، ويؤكد ذلـك النص المنسـوب إليه الـذي جـاء فيـه: "في هذا المـكان، خاتوشـا بذرت الأعشاب الضارة وليقض إله العاصفة على كل من يصبح ملكًا بعدي ويتخذ من خاتوشا مقرًا له"[٢٦].

غـير أن هذا الإجـراء لم يحل دون عـودة المدينة إلى مسرح الأحداث، إذ استعادت خاتوشا مكانتها بعـد نحو قرن من الزمن، لتغدو مقرًا لملوك الختيين وعاصمـة لإمبراطوريتهـم التـي امتـد نفوذها من بحر إيجـة غربًا إلى جبال أرمينيـا شرقًا، ومن البحر الأسود شمالًا إلى كنعان (فلسطين) جنوبًا، واستمر ذلك لأكثر من أربعة قرون، وعلى الرغم من انتقال العاصمـة لفـترة وجيـزة في عهـد مواتـالي الثـاني (Muwatalli II)[٢٧]، إلى مدينـة تارخونتاشـا (Tarhuntašša)[٢٨]، في الجنـوب فإن حاتوشـا عـادت لتتبـوأ مكانتهـا عاصمـة حثية كـبرى[٢٩]، تُضاهي بابل وآشـور من حيث الاتسـاع والعظمة فضـلًا عن كونها مركزًا دينيًا بارزًا والمقر الرئيس لما يُعرف بألف إله في حاتي[٣٠].

ثانيًا: الأزمات السياسـية وسقوط مدينة خاتوشا في أواخر العصر الختي

شـهدت مدينـة خاتوشـا في العقـود الأخـيرة مـن عمـر الدولـة الختيـة مرحلتـين واضحتين من التدمير، ارتبط التدمير الأول بالصراع على العرش بـين الملك تودخليـا الرابع وابن عمـه كورنتا ملك تارخونتاشـا وهـو صراع تؤكده نصـوص معاهدة موثقـة على لـوح برونـزي وقـد انتهى هـذا النزاع بسـيطرة تودخليا الرابع على العاصمة بعد تعرضها لحريق واسع ألحق أضرارًا بالمعابد والأسوار، أعقبه برنامج إعادة إعمار جزئي للمدينة[٣١].

أمـا التدمير الثـاني فوقع في عهد شـوبيلوليوما الثاني إذ كشـفت الشـواهد الأثرية عن دمار شامل ناتـج عن حريـق كبير مثـل نهاية حاتوشـا عاصمة للإمبراطوريـة الختية، وتُشـير المعطيات إلى تعرض المدينـة للنهب والتخريب على يد جماعات خارجية يرجـح أن تكـون قبائل الكاشـكا المقيمـة في جبال البونتـس شـمالي الأناضـول، وذلـك بالتزامـن مع تراجع النفوذ الختي بعد مرحلة توسـع إقليمي على حساب ممالك كبرى مثل ميتاني ومصر[٣٢].

وفي خضم هذهِ الأزمات واجه تودخليا الرابع تحديات سياسـية وعسـكرية متزايدة، ولاسـيما مع تصاعـد القوة الآشـورية، وعـلى الرغم من سـعيه إلى تجنـب الصـدام مـع الملـك الآشـوري توكلتـي ننورتـا الأول إلا أن معركـة نهاريـا عـام ١٢٣٤ ق.م انتهـت بهزيمـة الجيـش الختـي وتخـلي حلفائه عنـه ممـا أضعف مكانـة الدولـة دوليًا، وأمـام هذهِ الظـروف اتجـه تودخليـا الرابـع إلى تنفيـذ إصلاح ديني واسـع شمل تنظيم المعابد وتوثيق موجوداتها وإعادة هيكلـة الكهنوت ومنح امتيازات اقتصادية للمراكز الدينية والمدن المقدسة مثل نيريك ووارنينا وزبلانـدا[٣٣]، وتزامـن هـذا النشـاط الديني مـع حركـة عمرانيـة ملحوظـة في العاصمـة حاتوشـا إذ أعيـد ترميم المعابد المتضررة وشـيدت منشـآت جديدة مما أدى إلى توسـع المدينة وازدياد مسـاحتها

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

ويُعزى هذا النشاط العِمراني إلى سياسة تودخليا الرابع الرامية إلى استعادة هيبة العاصمة في وقت كانت فيه الإمبراطورية تواجه تراجعًا متسارعًا، وعلى الرغم من هذهِ الجهود فإن سقوط حاتوشا في عهد شوبيلوليوما الثاني شكل النهاية الفعلية للدولة الحثية بعد مسيرة استمرت قرابة ألف عام في واحدة من أبرز المحطات المفصلية في تاريخ الأناضول القديم[٣٤].

المبحث الثالث

المظاهر الحضارية في مدينة خاتوشا

أولًا: السور والتحصينات الدفاعية

شكلت الأسوار في مدينة حاتوشا أحد أبرز عناصر التنظيم الحضاري، إذ عملت كتحصينات دائمة تحمي المدينة من الغزوات والهجمات المحتملة، وتتألف هذهِ الأسوار من سورين داخلي وخارجي مشيدين من حجارة ضخمة غير منتظمة الأشكال، يتراوح طول كل حجر من قدم إلى خمسة أقدام ويواجه السوران بعضهما البعض، وقد عزز محيط الجدران بأبراج مراقبة على فواصل كل مائة قدم تقريبًا، فيما تحمي المداخل منحوتات الأسود، ويضم السور الجنوبي خمس بوابات رئيسية، منها باب الأسد وباب السفنكس، نسبة إلى التماثيل المنحوتة التي تزينها، وقد ارتبطت هذهِ البوابات بالطريق الرسمي الذي يُحيط بالمدينة العليا ويمر منه مواكب الملك، واستخدمت الصخور البارزة على سطح الأرض كسياج طبيعي للقلاع، وتتميز الأسوار بالاستحكام الشديد مع وجود مناطق ذات انحدار حاد عند مدخل المدينة على طول السور الخارجي، وفوقه طريق عرضه عشرون قدمًا بين أبراج ضخمة، إضافة إلى نفق يسمح للمدافعين صد الهجمات المباغتة، ومن اللافت أن صلابة هذهِ التحصينات تجعل من المستغرب تمكن الأقوام الجبلية من احتلال المدينة في مراتٍ متعددة[٣٥].

ثانيًا: الأبواب الرئيسة للمدينة

تولت الأبواب في مدينة خاتوشا دورًا محوريًا ضمن منظومة التحصينات إذ كانت تمثل نقاط الدخول والخروج المنظمة، وتساهم بشكلٍ مباشر في حماية المدينة من التسلل والتهديدات الخارجية، ومن بين تلك التحصينات ما يُعرف بالأبواب والتي شكلت إحدى الوسائل الدفاعية الأساسية في العِمارة الحتية فقد أقيمت منشآت بنائية مستحكمة داعمة لها تمثل امتدادا للأسوار والقلاع سواء داخل المدينة أو حولها لتشكل خطًا دفاعيًا يعهد إليه كبار رجال الدولة، لاسيما في حالات التمرد الداخلي كما كانت البوابات تنشأ في المنافذ الرئيسة لتنظيم حركة الناس والبضائع مما يجعلها جزءًا أساسيًا من بُنية المدينة وحمايتها الأمر الذي أكسبها اهتمامًا كبيرًا في جميع حضارات الشرق الأدنى القديم، خصوصًا ضمن تخطيط المدن[٣٦].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

الباب الجنوبي

يقع باب الملك في الجهة الجنوبية الشرقية من أسوار مدينة خاتوشا ويعد من أهم بواباتها التحصينية أحيط الباب ببرجين للمراقبة أحدهما خارجي والآخر داخلي بما يعزز وظيفته الدفاعية ويضمن السيطرة على حركة الدخول والخروج، وكان للباب مصراعان خشبيان يفتح أحدهما باتجاه الداخل في حين يفتح الآخر نحو الخارج، في تنظيم معماري يخدم الأغراض الأمنية، سُمي الباب بباب الملك نسبةً إلى التمثال المنحوت القائم عنده والذي يصور شخصية ذات هيئة مهيبة تحمل فأسًا وسيفًا ذا نصل هلالي، وترتدي سترة عسكرية وخوذة مزودة بقرون إضافة إلى قلادة تزين الصدر، يبلغ ارتفاع التمثال نحو (٢٥ , ٢) متر من أعلى الخوذة حتى أطراف القدمين، وقد اعتقد في بادئ الأمر أن التمثال يمثل أحد ملوك الختيين، إلا أن الدراسات اللاحقة رجحت كونه تصويرًا لمحارب أو لإله الحرب نظرا لوجود القرون على الخوذة وهي سمة دينية معروفة في المعتقدات الختية كما تعكس تأثرًا واضحًا بتقاليد بلاد الرافدين الرمزية، وبذلك يفهم التمثال بوصفه عنصرًا وقائيًا ذا دلالة دينية يهدف إلى حماية العابرين عبر البوابة، يحفظ التمثال الأصلي حاليًا في متحف أنقرة للحضارات الأناضولية في حين وضعت نسخة منه في موقع آثار خاتوشا حفاظا على السياق المعماري والتاريخي للباب[٣٧].

الباب الجنوبي الغربي

يتمثل بباب الأسد ويعد من أبرز بوابات مدينة خاتوشا وهو أول معلم يواجه الزائر على امتداد الطريق الرسمي المؤدي إلى المدينة، شيد الباب في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد في الجهة الجنوبية الغربية، وأحيط ببرجين للمراقبة عززا وظيفته الدفاعية، صنعت مصاريع الباب من الخشب وكانت تفتح إلى الداخل في حين غلفت الواجهة الخارجية بالبرونز لزيادة متانتها ومقاومتها للهجمات وزين المدخل بتمثالي أسد نُحتا عند جانبيه، أديا وظيفة رمزية دفاعية تمثلت في درء الأرواح الشريرة وهو تقليد ذو جذور واضحة في تقاليد بلاد الرافدين، لاسيما تماثيل اللاماسو الآشورية عند مداخل القصور والمعابد وكذلك منحوتات الأسود في شارع الموكب بمدينة بابل[٣٨]، أما باب السفنكس (أبو الهول) فقد شُيد في أواخر العصر البرونزي خلال فترة الإمبراطورية الختية ويعد جزءًا أساسيًا من منظومة تحصينات المدينة، يجمع تمثال السفنكس بين جسد أسد، وأجنحة نسر ورأس إنسان في تركيب رمزي يعكس مفاهيم الحراسة والقوة والحماية وكان الباب مزودا بمصاريع خشبية وأقيم عنده تمثالان للسفنكس بقي أحدهما في موضعه الأصلي في حين نقل الآخر إلى المتحف المحلي مما يؤكد الأهمية الدفاعية والرمزية التي أولاها الختيون لهذهِ البوابة ضمن تخطيط المدينة[٣٩].

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

ثالثًا: المعابد ودلالتها الدينية

شكل المعبد في بلاد الأناضول خلال العصر الختي مؤسسة دينية مركزية ذات أبعاد عقائدية وإدارية في آنٍ واحد، إذ عد بيتًا للإله على الأرض ومكانًا لتمثله الرمزي من خلال تمثال العبادة أو الرمز المقدس، وقد اضطلع الكهنة بدور محوري في إدارة شؤون المعبد تمثل في أداء الطقوس اليومية وتنظيم الشعائر والإشراف على تقديم القرابين وإطعام تمثال الإله وإكسائه فضلًا عن إخراج التماثيل المقدسة في المواسم والأعياد لزيارة المدن الأخرى ضمن الطقوس الدينية الرسمية، أما من الناحية المعمارية فقد مر بناء المعبد الختي بمراحل تطور واضحة إذ بدأ في صورة منشآت بسيطة تمارس الطقوس أمامها ثم تطور تدريجيًا إلى مجمعات معمارية واسعة ذات تخطيط منتظم وفي العاصمة خاتوشا (بوغازكوي)[٤٠]، إذ شيدت معابد حجرية متكاملة استخدمت إلى جانب وظيفتها الدينية مراكز رسمية لإدارة شؤون الدولة، مما يعكس تداخل السلطة الدينية بالسلطة السياسية في النظام الختي[٤١]، وتُشير الدراسات الأثرية إلى أن تخطيط المعابد الختية تميز بتنظيم الغرف حول ساحة مركزية مكشوفة مع اختلاف موضع غرفة العبادة الرئيسة من معبد إلى آخر، وقد شهدت المدينة العليا من خاتوشا نشاطًا عمرانيًا واسعًا خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، حيث أنشئت أعداد كبيرة من المعابد بالتزامن مع إعادة تطوير مجمع القصر والمنشآت الدينية في منطقة الأكروبوليس الأمر الذي أدى إلى توسع المدينة باتجاه الجنوب وازدياد مساحتها إلى ما يقارب ضعف مساحتها الأصلية[٤٢].

ويعد المعبد الكبير في خاتوشا أبرز هذهِ المنشآت وقد خصص لعبادة الإله الرئيس وإلهة الشمس آرينا[٤٣]، وعُرف في المصطلح الختي باسم (بيت الإله)، كما تذكر النصوص الدينية، ولاسيما نصوص الأعياد تشييد معابد أخرى في مدن مثل نيريك خصص كل منها لعبادة إله معين، وتظهر هذهِ النصوص تنوع المعابد من حيث الحجم والتخطيط إذ تراوحت بين مجمعات واسعة ذات ملحقات متعددة وأخرى صغيرة المساحة محدودة الوظائف، وقد أسفرت التنقيبات الأثرية الحديثة في خاتوشا عن الكشف عن بقايا ما لا يقل عن خمسة معابد رئيسة فضلًا عن معابد أخرى في المدينة العليا، شغلت جزءًا كبيرًا من العاصمة الختية، ويقع أكبر هذهِ المعابد في القسم الشمالي من المدينة فيما توزعت المعابد الأخرى على امتداد القسم الجنوبي، وقد أطلق على بعضها تسمية (بيت القمة)، وهو ما يؤكد الطابع المقدس للعاصمة الملكية ومكانتها الدينية في الدولة الختية[٤٤].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

الاستنتاجات

توصلت في نهاية موضوع البحث المعنون: (خاتوشا عاصمة الحثيين ومهد الحضارة الأناضولية دراسة في التطور الحضاري)، إلى مجموعة من الاستنتاجات وأهمها:

- تؤكد الدراسة أن مدينة خاتوشا لم تكن مجرد عاصمة سياسية للدولة الختية بل مثلت مركزًا حضاريًا متكاملًا جمع بين الوظائف الإدارية والدينية والعسكرية وهو ما انعكس بوضوح في تخطيطها العمراني وتوزيع منشآتها الرئيسة.

- أظهر الموقع الجغرافي والطبيعة الطبوغرافية لمدينة خاتوشا دورًا حاسمًا في تعزيز قدرتها الدفاعية، إذ استثمرت المرتفعات والانحدارات الطبيعية ضمن منظومة التحصينات بما يعكس وعيًا هندسيًا وعسكريًا متقدمًا لدى الختيين في اختيار مواقع العواصم.

- كشفت نتائج التنقيبات الأثرية عن أن خاتوشا تمثل أغزر المراكز النصية الختية وأسهمت وفرة الرقم المسمارية المكتشفة فيها إسهامًا جوهريًا في إعادة بناء التاريخ السياسي والديني والإداري للدولة الختية وفهم بنيتها المؤسسية.

- بين البحث أن التطور التاريخي لخاتوشا ارتبط ارتباطًا وثيقًا بمراحل صعود الدولة الختية وانحسارها إذ شهدت المدينة فترات ازدهار عمراني خلال ذروة القوة الإمبراطورية يقابلها مراحل دمار وإعادة إعمار تعكس طبيعة الأزمات السياسية والصراعات الداخلية والخارجية.

- أظهرت الدراسة أن الأسوار والتحصينات الدفاعية في خاتوشا لم تكن عناصر معمارية معزولة بل شكلت نظامًا دفاعيًا متكاملًا جمع بين الأسوار المزدوجة، الأبراج، الأنفاق، والبوابات، مما يدل على تخطيط عسكري متقدم يهدف إلى السيطرة المحكمة على المدينة وحمايتها.

- اتضح أن الأبواب الرئيسة في خاتوشا أدت دورًا مزدوجًا تمثل في الوظيفة الدفاعية والتنظيمية، فضلًا عن بعدها الرمزي والديني حيث ارتبطت بالتماثيل الواقية والمظاهر العقائدية التي عكست تصورات الختيين عن الحماية الإلهية للمدينة وسكانها.

- أكدت الدراسة أن المعابد الختية في خاتوشا شكلت محورًا أساسيًا في الحياة الدينية والسياسية إذ جسدت مفهوم المدينة المقدسة وعبّرت عن تداخل السلطة الدينية مع الحكم وهو ما يتجلى في كثافة المعابد، ولاسيما في المدينة العليا وفي الدور الإداري الذي اضطلعت به بعض هذهِ المنشآت.

- بيّن البحث أن التوسع العمراني والديني في عهد تودخليا الرابع، ولاسيما إعادة

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

ترميم المعابد وبناء منشآت جديدة جاء في إطار محاولة واعية لإعادة ترسيخ هيبة العاصمة في مرحلة تراجع سياسي وعسكري مما يبرز البعد الأيديولوجي للعمارة الحثية.

- تشير المعطيات الأثرية والنصية إلى أن سقوط خاتوشا في أواخر العصر الحثي لم يكن حدثًا مفاجئًا بل نتيجة تراكم أزمات سياسية وعسكرية واقتصادية أسهمت في إضعاف البنية الداخلية للدولة ومهدت لانهيارها النهائي.

- تبين من خلال دراسة المظاهر العمرانية والدفاعية والدينية لمدينة خاتوشا أن العاصمة الحثية لم تُخطَّط بوصفها مركزًا سياسيًا فحسب بل كمدينة ذات وظيفة مركبة تجمع بين السلطة الملكية والقداسة الدينية والتنظيم العسكري، الأمر الذي يعكس طبيعة الدولة الحثية القائمة على تداخل الدين بالحكم واعتماد العِمارة أداة لترسيخ الشرعية والهيبة في الأناضول القديم.

الهوامش

١. أبو السعود، صلاح، تاريخ وحضارة الحيثيون (القاهرة: مكتبة النافذ، ٢٠١٠)، ص٢٣-٢٤.

٢. الأحمد، سامي سعيد، والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الادنى القديم إيران والأناضول (بغداد: جامعة بغداد، ١٩٨٣)، ص٢٣٩.

٣. الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول، ط ٢(بغداد: ٢٠١١)، ص٦٣.

٤. هوكينز، جون ديفيد، "حاتوشا مدينة الألف إله في حاتتي"، من كتاب الحضارة الحثية، تر: صلاح رشيد الصالحي (بغداد: جامعة بغداد، ٢٠٢١)، ص٤٨٧.

٥. الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية ص٧٤-٧٥.

6. Bryce, Trevor, The Kingdom of the Hittites (New York: Oxford University Press, 2005), P.19;

الأحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الادنى، ص٢٢٨.

٧. السعدي، حسن، معالم تاريخ منطقة الأناضول القديم وحضارتها (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٧)، ص٦.

٨. فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي (دمشق: دار الفكر،١٩٧٢)، ص٤.

٩. الأحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الادنى، ص١٩١.

١٠. السعدي، حسن محمد محي الدين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق-إيران-اسيا الصغرى) (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥)، ج٢،

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

ص٢٧٩-٢٨٠؛ الأحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الادنى، ص١٩١.

11. Burney, Charles, Historical Dictionary of The Hittites (Oxford: The Scarecrow Press, 2004), p.107.

12. Beckman, Gary, "Hattussa", in The Encyclopedia of Ancient History, (UK, 2012), P.1;

أبو السعود، صلاح، تاريخ وحضارة الحيثيون (القاهرة: مكتبة النافذ، ٢٠١٠)، ص٨.

١٣. الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، ص١٦-٢٢؛ Macqueen, J. G, The Hittites and Their Contem Poraries in Asia Minor, P.14-16.

14. Bryce, Trevor, The Routledge Handbook of the Peoples and Places of the Ancient Western AsiaLondon: Routledge, 2009), P.298.

١٥. الأحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الادنى القديم إيران والأناضول، ص١٧٩؛ الصالحي، صلاح رشيد، المملكة، ص٦.

16. Beckman, Gary, "Hattussa", in The Encyclopedia of Ancient History, (UK, 2012), P1;

١٧. حاتوشيلي الأول: يعد أحد أبرز ملوك الدولة الحتية القديمة وينسب إليه الدور الرئيس في تأسيس الدولة الحتية الموحدة (١٦٥٠-١٦٢٠ ق.م) واتخاذ مدينة خاتوشا عاصمة رسمية لها بعد أن كانت مجرد مركز إقليمي عرف بسياساته التوسعية إذ قاد حملات عسكرية واسعة في وسط الأناضول وشمال سورية، وأسهم في ترسيخ النفوذ الحثي خارج حدود الأناضول، كما يعد من أوائل الملوك الذين وضعوا أسس النظام الإداري والملكي الحتي، وحرص على توثيق إنجازاته في نصوص تاريخية تعد من أقدم المدونات الملكية في تاريخ الأناضول وقد مثل عهده نقطة تحول مهمة مهدت لظهور الإمبراطورية الحثية لاحقا. ينظر:

Macqueen, J. G, The Hittites and Their Contem Poraries in Asia Minor, P.36-37;

الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، ص١٥٥.

١٨. شوبيلوليوما الأول (ŠuppiluliumaI): يعد من أعظم ملوك الإمبراطورية الحتية، وحكم خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد (١٣٤٤-١٣٢٢ ق.م) قاد عملية التحول من الدولة الحتية إلى قوة إمبراطورية كبرى عبر إصلاحات عسكرية وإدارية واسعة، ونجح في توسيع النفوذ الحثي في الأناضول وشمال سورية، ولا سيما على حساب مملكة ميتاني، كما عرف بسياساته الدبلوماسية البارزة، وأسهم في ترسيخ مكانة خاتوشا بوصفها عاصمة سياسية ودينية مزدهرة ووضع الأسس التي استندت إليها الإمبراطورية الحثية في ذروة قوته. ينظر:

Macqueen, J. G, The Hittites and Their Contem Poraries in Asia Minor, P.46-47;

علي، هاجر باسم محمد، الملك شوبيلوليوما الأول دوره ومكانته في المملكة الحثية (١٣٧٠-١٣٤٠ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠١٨)، ص٢٧-٣٧.

١٩. هوكينز، جون ديفيد، "حاتوشا مدينة الألف إله في

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

حاتتي"، ص٤٨٧-٤٨٨.

20. Beckman, Gary, "Hattussa", p.1.

٢١. فاروق أسماعيل، الحثيون وحملاتهم على سوريا، مجلة دراسات تاريخية، (جامعة حلب، ٢٠٠٣)، ع ٨١-٨٢، ص٨؛ جرني، أ.ر، الحثيون، تر: دكتور محمد عبد القادر محمد (د.مك: مطابع البلاغ، ١٩٦٣)، ص٣٦.

٢٢. جرني، أ.ر، الحثيون، تر: دكتور محمد عبد القادر محمد (د.مك: مطابع البلاغ، ١٩٦٣)، ص٣٦.

٢٣. المصدر نفسه ص٢١-٣٣.

٢٤. الحسوني، سرى حسين علي، مراسلات الملوك الخاتيين، (١٦٨٠- ١٢٠٧ ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٢٢)، ص٣٠-٣٣؛ سنجر، إيتمار، "مدينة العديد من المعابد: حاتوشا عاصمة الحثيين"، من كتاب الحضارة الحثية، تر: صلاح رشيد الصالحي (بغداد: جامعة بغداد، ٢٠٢١)، ص٤٧١-٤٧٢.

٢٥. علي، هاجر باسم محمد، الملك شوبيلوليوما الأول، ص١٣-١٤.

٢٦. الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، ص١١٦؛ سنجر، إيتمار، "مدينة العديد من المعابد: حاتوشا عاصمة الحثيين"، ص٤٧١-٤٧٢.

٢٧. موواتالي الثاني (Muwatalli II): أحد أبرز ملوك الدولة الحتية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، حكم خلال مرحلة اتسمت بتصاعد الصراع الإقليمي (١٢٩٥-١٢٧٢ ق.م)، ويعد من أهم ملوكها العسكريين إذ تولى القيادة العليا للجيش الحتي في معركة قادش الشهيرة ضد الملك المصري رمسيس الثاني، والتي مثلت ذروة المواجهة بين القوتين الكبيرتين في الشرق الأدنى القديم، كما اشتهر بقراره نقل العاصمة الحتية مؤقتا من حاتوشا إلى تارخونتاشا، لأسباب سياسية وعسكرية ودينية، لا سيما في سياق الصراع مع الدولة المصرية الحديثة. ينظر: الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، ص٣٢٠-٣٢١.

٢٨. تارخونتاشا (Tarhuntašša): هي مدينة حثية مهمة أسست عاصمة مؤقتة للإمبراطورية الحثية في عهد الملك موواتالي الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتقع في جنوبي الأناضول، ويرجح أنها كانت ضمن إقليم قونية الحالي أو أطرافه، اكتسبت المدينة أهميتها السياسية والعسكرية نتيجة موقعها القريب من الجبهات الجنوبية، ولا سيما في ظل الصراع الحثي-المصري، كما ارتبط تأسيسها وازدهارها بعبادة الإله تارخونت إله العاصفة، الذي حملت المدينة اسمه، وقد استمرت تارخونتاشا مركزا إداريا بارزا حتى بعد عودة العاصمة إلى خاتوشا، ما يعكس مكانتها في التنظيم الإقليمي للدولة الحثية. ينظر: الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، ص١٣٢-٥٩٠.

29. Bryce, Trevor, The Kingdom of the Hittites, p.230.

٣٠. ايتمار، سنجر، "مدينة العديد من المعابد: حاتوشا عاصمة الحثيين"، ص٤٧١-٤٧٢؛ الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، ص١٥٣.

٣١. الحسوني، سرى حسين علي، مراسلات الملوك الخاتيين، ص١٣-١٩.

٣٢. المصدر نفسه، ص١٧-١٩.

٣٣. المصدر نفسه، ص١٩-٢١.

٣٤. المصدر نفسه، ص٢٢-٢٤.

٣٥. الأحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الادنى القديم، ص٣١٧-٣١٨.

٣٦. سنجر، إيتمار، "مدينة العديد من المعابد خاتوشا

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات تأريخية في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-6376
Info@baytalhikma.iq

عاصمة الحثيين" من كتاب الحضارة الحثية، ص٤٧٧.

٣٧. المصدر نفسه، ص٤٧٥.

٣٨. سنجر، إيتمار، "مدينة العديد من المعابد خاتوشا عاصمة الحثيين" من كتاب الحضارة الحثية، ص٤٧٣؛ الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، ص١٢٤؛

Bryce, Trevor, The Kingdom of the Hittites, p.46.

٣٩. سنجر، إيتمار، "مدينة العديد من المعابد خاتوشا عاصمة الحثيين" من كتاب الحضارة الحثية، ص٤٧٣؛ الصالحي، صلاح رشيد، المملكة الحثية، ص٥٤٠؛

Bryce, Trevor, The Kingdom of the Hittites, p.46.

٤٠. جرني، أ.ر، الحثيون، ص١٩٩-٢٠٥.

41. Macqueen, J. G, The Hittites and Their Contem Poraries in Asia Minor, P.116; 121.

٤٢. جرني، أ.ر، الحثيون، ص١٩٩.

43. Macqueen, J. G, The Hittites and Their Contem Poraries in Asia Minor, P.119.

44. Ahmet, Ünal "Hittite A R C H I T E C T And A Rope - Climbing R I T U A L" In Belleten (Ankara: Imprimerie De La Societé Turque D'hiśtoire, 1988), Lii, P.1470-1471.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Historical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
ISSN.2223-6376
Info@baytalhikma.iq

Hattusa as the Capital of the Hittites and the Cradle of Anatolian Civilization

A Study in Cultural Development

Naila Omer Shihab Al-Ahmed

University of Baghdad / Center Revival of Arab Science Heritage

Summary

This study examines the city of Hattusa as the capital of the Hittite Empire and one of the most prominent political and religious centers in the ancient Near East, emphasizing its geographical location and strategic significance. It explores the origins of the Hittites and their settlement in Anatolia, drawing on archaeological evidence that reveals the city's advanced urban planning.

The study highlights Hattusa's political development and regional relations, particularly through commercial road networks, and analyzes its cultural achievements—such as fortification walls, gates, and temples—as material evidence of the administrative and religious organization of the Hittite state. It concludes that Hattusa represented a comprehensive cultural model that played a significant role in shaping the history of Anatolia during the second millennium BCE.

Keywords: Hattusa, Hittites, Hittite Empire, Anatolia.